الاستجابة الصحيحة للتجارب

يعقوب ١:١–١٨

أولاً: مقدمة

إن نظرنا إلى مُجمَل رسالة يعقوب، فإننا نرى ثلاثة مواضيع فيها:

١. الاستجابة الصحيحة للتجارب والألم

٢. تشجيع على إطاعة الكلمة والتوبة عن خطايا معينة

٣. التوتر بين الأغنياء والفقراء (والرغبات العالمية)

ويمكننا أن نرسم مُخططاً عاماً للسفر كما يلي:

الحركة العامة في رسالة يعقوب

دعوة للاستجابة للتجارب بالصبر بإيمان وبإطاعة الكلمة	حثٌّ على الطاعة المتوقَّعة للكلمة (أمثلة مختارة)	تحضيضات ونصائح أخيرة للأغنياء (الذين يسبِّبون الألم) وللذين يتألمون
١:١–٢٧	٢:٢١–٤:١٢	٤:١٣–٥:٢٠

ويؤلِّف الأصحاح الأول الحركة الأولى في السفر، وهو يتكوَّن من أربعة أقسامٍ:

الأصحاح الأول من رسالة يعقوب

الكاتب وتحيته	الموقف السليم تجاه التجارب والمِحَن	الموقف السليم تجاه الله في التجارب والمِحَن	وجوب استبدال الغضب والكلام المتسرع بالقبول الحقيقي للكلمة بتواضع
١:١	٢:١–١١	١٢:١–١٨	١٩:١–٢٧

ثانياً: الكاتب وتحيته

كما ذُكِر في الملاحظات التمهيدية، فإنه الأكثر احتمالاً هو أن الكاتب هو يعقوب أخو الرب، وقائد الكنيسة الأولى في أورشليم. هذه الرسالة موجَّهة إلى المؤمنين من أصل يهودي الذين أُجبِروا على مغادرة أورشليم، مما أدى إلى تشتيتهم. يساعدنا هذا "الشتات" للكنيسة الأولى في فهم موضوع التجارب والأمل، وهو الموضوع البارز في السفر. يذكّر الكاتب قراءه منذ البداية بأنهم "الاثني عشر سبطاً"، أي أن هؤلاء المؤمنين من أصل يهودي هم إسرائيل الله الحقيقي، وهم الذين سيتمّم الله وعوده الصالحة لهم (انظر متى ١٩:٢٨: رومية ٩:٦–٨).

ثالثا: الموقف السليم تجاه التجارب والمِحَن (١:٢–١١)

أ. قصد الله الصالح من وراء تجاربنا (١:٢–٤)

١. موقف الفرح تجاه التجارب (١:٢)

هذا موقف إيمان. التجربة بحد ذاتها ليست سبب الفرح، ولكن يمكن لمنظورنا لتلك التجربة أن يكون كذلك. ويشرح العددان ٣–٤ سبب إمكانية وجود فرح؛ إذ يمكن أن ينتج ثمر روحي في حياتنا في هذه التجارب.

٢. فائدة التجارب (١:٣–٤)

أ. ردة الفعل الطبيعية على التجارب.

إننا مُعرَّضون للسعي للحصول على الراحة من التجربة بدلاً من اكتساب كل منفعة روحية ممكنة.

ب. "وأما الصبر فليكن له عمل تام"

(الترجمة الإنجليزية: "فليكن للصبر نتيجة كاملة" let endurance have its perfect result)

الكلمة المُترجَمة إلى "تام" (أو "كاملة") هي الكلمة اليونانية τελειος. الفكرة الأساسية وراء هذه الكلمة هي وصول شيء ما إلى القصد المرغوب به له، أو أن يُصبح كاملاً، أو أن يبلغ النضج. وبهذا فإن مسؤوليتنا هي أن نحتمل التجربة حتى تتحقَّق النتيجة الكاملة في حياتنا.

ما هي "النتيجة الكاملة" (أو "العمل التام")؟

إن معنى "الكمال" هو بلوغ النضج. فالكاتب يفكّر بشخصياتنا وطبيعتنا الأخلاقية. ويمكن لفكرة "كامل" أن تعكس الفكرة العبرية لرجلٍ أصبح "كاملاً" (תָּמִים). انطبق هذا الوصف على نوح (انظر تكوين ٦:٩).

ب. توفُّر حكمة الله لنا في تجاربنا (١:٥–٨)

١. كثيراً ما يُساء فهم العدد ٥، بحيث يُؤخَذ على أنه دعوة لامتلاك الحكمة بشكلٍ عام. لكن علينا أن ننتبه إلى السياق. إن عرض امتلاك الحكمة هذا يتعلق بالتجارب، فهي الحكمة التي نحتاجها في وسط تجربتنا ومحنتنا. ففي تجاربنا يقف الله مستعداً لإعطاء الحكمة لنا بسخاء جزيل.

٢. كما أن حكمة الله متوفرة "من دون تعيير"

في اليونانية μὴ ὀνειδίζοντος. يمكن لهذه الكلمة أن تُستخدَم بمعنى "يعيّر" أو "يشتم" (كما في مرقس ١٥:٣٢) ولكن ليس هذا هو المعنى المقصود هنا. لاحظ استخدام هذه الكلمة في مرقس ١٦:١٤: "ووبَّخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم." فالفكرة هي أننا حين نأتي إلى الله طالبين حكمةً في تجاربنا، فإنه لا يستجيب بتوبيخنا؛ فالتوبيخ أمرٌ مناسب حين يقاوم المرء الله، وأما الذي يلجأ إلى الله طالباً منه حكمة في التجارب، فإنه يُظهِر أنه خاضع لله ويرغب بالحصول على معونته.

٣. يجب عدم تقديم الصلاة إلى الله طلباً لحكمته في التجارب بشك (١:٦–٨)

ج. بركة التجارب للأغنياء والفقراء (١:٩–١١)

١. علاقة التجارب بالفقراء (١:٩)

أ. "الأخ المتضع (ذو الظروف المتواضعة)"

هذه إشارة إلى المؤمن الفقير مادياً ومالياً.

دعم هذه الفكرة: مقابلة هذه الفكرة مع "الغني" مادياً في العدد التالي. يبدو أن هذا الموضوع موضوع يهتم يعقوب به كثيراً، إذ يظهر هذا الموضوع ثانيةً في يعقوب ٢:١–١٣؛ ٤:١٣–١٧؛ ٥:١ فصاعداً.

ب. ما المقصود بـ"ارتفاع" المؤمن الفقير؟

يُذكِّر المؤمن الفقير بغناه الروحي. هذه تعزية له. فبالإضافة إلى الحياة الأبدية التي يملكها الفقير، يفكِّر يعقوب بغنى الملكوت الذي سيكون متوفراً للأمناء (٢:٥)، وكذلك بالمكافأة التي ستكون متوفرة لهم (١:١٢).

٢. علاقة التجارب بالأغنياء (١:١٠-١١)

أ. هل هذه إشارة إلى مؤمنين أغنياء، أم إلى أغنياء غير مُخلَصين؟

يختلف المُفسّرون حول هذا الأمر، ولكن من المُرجَّح أنهم مؤمنون.

١. بالرغم من الصراعات والصعوبات المادية التي يعاني منها معظم قراء رسالة يعقوب، كان هناك بعض الأغنياء في الكنائس (لاحظ ٢:٢).

٢. العدد العاشر عبارة مختصرة عن قصد للعدد التاسع. فالفعل "ليفتخر" في العدد ١٠ محذوف (أي أنه ليس موجود فعلياً في النص، ولكنه مفهوم ضمناً).

٣. التركيب اليوناني لكلمة "الغني" هو ذات تركيب "المتضع" الفقير (ὁ ταπεινος – ὁ πλοσιος) هذا يقترح علينا أن نفهم أن "الغني" أيضاً هو "الأخ الغني."

ب. كيف للأخ "الغني" أن يفتخر بتواضعه (ذله)؟

يُشجَّع الأخ الغني على أن "يفتخر" أو "يفرح" بالذل الذي عليه أن يحتمله كمؤمن مسيحي. هناك عار عليه احتماله كمؤمن، وسببُهُ توحُّده بالمسيح والارتباط به. ولكنه عليه أن يفرح بهذا الأمر أكثر من فرحه بالغنى العالمي؛ أي أن عليه أن يكون لديه فرح بأمور الروح أكثر مما يتوقَّع من الغني أن يحبه ويعتبره عزيزاً عليه. وعلاوةً على ذلك، عليه أن يرحّب بالتجارب التي ستحفظه متواضعاً، وتحميه من الانخداع بالغنى الأرضي.

ج. يُذكَّر الغني بالطبيعة المؤقتة لممتلكاته ووضعه الحاليين (١:١٠ب-١١)

مهما كان النجاح والبركة الماديين اللذين يمكن للغني أن يستمتع في الوقت الحالي بهما، فإنها تبقى قصيرة العمر وزائلة؛ إذ من المؤكد أنه سيكون عليه التخلي عنها عند الموت. إنه وضع "الغنى" هو الذي سيذبل ويفنى (وليس هو).

رابعاً: الموقف السليم تجاه الله في التجارب والمِحَن (١:١٢-١٨)

أ. فرحة الخروج من التجارب بنجاح (١:١٢)

١. العدد الثاني عشر عدد مفصلي

إنه يعيد النظر إلى ما قيل للتو، ويشير إلى الموضع التالي في النقاش. هناك مكافأة عظيمة لاحتمال التجارب (نظرة إلى الخلف)، وهو يذكّرنا بأهمية موقفنا واحترامنا لله في التجارب ("الذين يحبونه")، وهو الموضوع الذي سيبدأ بالحديث عنه في العدد ١٣ فصاعداً.

٢. "تزكّى" من الله (δοκιμος)

يشير هذا التعبير إلى امتداح الله وتزكيته (انظر ٢كورنثوس ١٠:١٨). من الواضع أن هذا الامتداح هو لاحتمال التجارب بنجاح، وللوصول إلى الطبيعة والشخصية التي يريد الله أن يراها فينا. ويمكن أن يكون هذا الآن، في هذه الحياة (انظر رومية ١٦:١٠). ويُشار إلى فكرة الشخصية باستخدام الاسم δοκιμη، المرتبط بهذه الصفة في رومية ٥:٣-٥.

٣. مكافأة الخروج من التجارب بنجاح: "إكليل الحياة"

يرد هذا التعبير في رؤيا ٢:١٠ (وهو المكان الآخر الوحيد الذي يرد فيه هذا التعبير)، وهو يشير إلى مكافأة خاصة للأمناء حتى الموت. من الواجب عدم الخلط بين "إكليل الحياة" وهبة الحياة الأبدية (التي لا تعتمد على الأمانة البشرية). هناك أمران يُريان في السياق يشيران إلى أنه قد يكون هذا إغناءً لاختبارنا الحالي.

أ. هناك تشابه بين العدد ١٢ ويعقوب ٥:١١ ("الطوبى"، و"الصبر" أو "الاحتمال")

بعد تجربة أيوب العظيمة القاسية، كان هناك انسكاب لرحمة الله وهباته عليه.

ب. السياق التالي يتكلم عن الخطية التي تؤدي إلى الموت. لذا يبدو أنه يتم مقارنة نتيجة الخطية مع نتيجة الاحتمال الأمين.

نقطة انتقال

خلال التجارب، على المؤمن أن "يحب الله" ويهابه ويحترمه. ولكن هذا لا يحدث دائماً. فبسبب ضغط التجارب والمِحَن، يمكن للمؤمن أن تكون فيه أفكار شريرة أو يقوم بأعمالٍ شريرة. وفي مثل هذه الظروف، يكون المؤمن معرَّضاً لأن يلومَ الله على أية ميول للشر قد تتولَّد لديه.

ب. تحذير من الموقف غير السليم تجاه الله (١:١٣-١٥)

وحالة أيوب توضيح ممتاز على هذا. فقد تعرَّض أيوب لتجربةٍ لم يفهمها. وفي وسط هذه التجربة، كان معرَّضاً لـ"التجديف على الله" بسبب الصعوبات التي كانت لديه (أيوب ١:١١؛ ٢:٥، ٩).

١. يجب عدم لوم الله على أي فشلٍ أخلاقي

فالخطأ الحقيقي يأتي من الداخل. فإن لم يتم ضبط دوافعنا وميولنا الشريرة، فإننا سنتعرض للدخول في دائرة مُفرَغة تؤدي إلى الخطية والموت.

٢. ما هو الموت التي يقصده يعقوب؟ ربما الموت الروحي (هذا موازي لتكوين ٣)

أ. عادةً ما لا يموت الناس جسدياً حين يرتكبون خطية (مع أن ذلك قد يحدث – أمثال ١٠:٢٧؛ ١كورنثوس ١١:٣٠)

ب. كلنا في النهاية سنموت، بغض النظر عن مدى ارتكابنا للخطايا

ج. لا يقول النص بأن الموت قد ينتج، لكنه يقول بأنه سينتج.

٣. الطبيعة المحتملة لهذا "الموت"

أ. مشاعر الاغتراب عن الله (فقدان الشركة معه)

ب. اليأس بسبب ذنب الخطية (عادة ما تجعلنا الخطية بائسين فلا تكون لدينا أية مشاعر طيبة تجاه أنفسنا). يشمل هذا الفشل والشعور بعدم الاستحقاق.

ج. فقدان الرغبة بالبر (لن يرغب الجسد بإرضاء الله)

د. إعاقة علاقتك بالروح القدس – فلا "تمتلئ"

هـ. فقدان الرؤيا

ج. دفاعٌ عن طبيعة الله الأخلاقية وصلاحه (١:١٦-١٨)

١. يبدأ بتحذيرنا من الانخداع والضلال اللذين قد يصيبان أي واحدٍ منا (١:٦)

إحدى أقوى طرق الشيطان في تعاملاته ضد أي مؤمن هي أن يجعله يشك بطبيعة الله الأخلاقية (تذكر ما عمله الشيطان مع آدم وحواء في الجنة).

٢. طبيعة الله هي أن يعطينا أشياء صالحة لا شريرة (١:١٧)

الصورة المُقدَّمة في هذا العدد هي مقابلة الله بالأجرام السماوية كالشمس والقمر والنجوم (انظر مزمور ١٣٦:٧-٩؛ إرميا ٣١:٣٥). قد تتغير هذه الأجرام السماوية، وأما الله فلا يتغيَّر. الفكرة التي يقصد يعقوب إيصالها هي أن طبيعة الله وأعماله معنا ثابتة متناغمة بشكلٍ كامل. إنه لا يتردَّد أو يتغير في هذا الأمر؛ والهبات والعطايا الكاملة لا تأتي إلا منه.

٣. تذكير بموقف محبة الله تجاه أولادنا (١:١٨)

أ. تفسير العدد ١٨

يتكلم العدد ١٨ عن فدائنا وميلادنا الجديد، وهما أعظم عطية يمكن لنا أن ننالها. وما يدعم هذا التفسير هو التعبير "كلمة الحق"؛ إذ يُستخدَم في أربعة أماكن أخرى في العهد الجديد تشير جميعها إلى الإنجيل (٢كورنثوس ٦:٧؛ أفسس ١:١٣؛ كولوسي ١:٥؛ ٢تيموثاوس ٢:١٥).

ب. هدف إثارة هذه الفكرة

القصد من هذه الفكرة تذكير القارئ بمحبة الله الكاملة. فالذي أحبنا بالصليب يحبنا في وسط تجاربنا! فلن يلتفت ضدنا فجأة ويأتي بشرٍ علينا.

دروس أخيرة من دراستنا

إن بناء الشخصية أمر لا يتحقَّق بسهولة. فإن تُرِكنا لأنفسنا قد لا نتغيَّر دائماً؛ إذ يتطلب الأمر دروساً من تصميمٍ إلهي، وعادة ما تكون مؤلمة، من أجل تحقيق تغييرٍ حقيقي في القلب. ويمكن أن ترى الفرق على المدى البعيد.